
حقائق الخلق الإلهي

(بحث قرآنى خالص)

للدكتور حامد طاهر

— هل نحن مطالبون بمعرفة كيفية بدء الخلق؟

— نعم، وبأمر إلهي.

— ولماذا؟

— لكي نقف على طرف من قدرة الله الشاملة ،

وبالتالي نفرده وحده بالعبادة .

— وهل هناك أسباب أخرى ؟

— أجل ، فالخلق الإلهي إنما كان لحكمة ، ولم يكن عبثا أو صدفة على الإطلاق .

وأن المقصود منه هو الإنسان ، الذى جاء إلى الدنيا ليتم اختباره ، ثم بعد موته

يبعث ليلاقى جزاءه على ما اعتقد من إيمان وكفر ، وما فعل من خير وشر ، فإما إلى

نعميم دائم ، أو خلود فى الجحيم .

الآيات الدالة على ما سبق :

(قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) (العنكبوت، آية 2)

(قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) (يونس، آية 34)

(وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون) (المذاريات ، آية 56)

(واسجدوا لله الذي خلقهن) [فصلت ، آية 37]

(ذلکم الله ربکم لآ إله إلأ هو خالق كل شيء فاعبدوه) [الأنعام، آية 102]

[إنا كل شئ خلقناه بقدر] (المقر، 49)

(أفحسبيتم أنما خلقناكم عبثا وأنکم إلينا لاترجعون) [المؤمنون، آية 115]

(ربنا ما خلقت هذا باطلنا سبحانه) [آل عمران، آية 191]

(إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات

[بالقسط] (يوحنا، آية 45)

صفة الخلق الإلهي :

تعد صفة الخلق الإلهي أولى وأهم الصفات الإلهية ، وهي التي تؤكد قدرة الله

اللامتناهية على جميع الأشكواں : السماءات والأرض وما بينهما ، وعالمي الجن

والماء ، وخلق ما نعلم وما لا نعلم . أما معنى الخلق فهو الإيجاد من المعدم ، أو

من مادة مخلوقة سلفا ، وكل منهما لا يقدر عليه إلا الله وحده ، كما أنه يتم بقدر ،

وله حكمة ، ومدة يقع بعدها بعث ، ثم خلق جديد .

الآيات الدالة على ذلك :

(إن ربكم هو الخالق العليم) [الحجر، آية 86]

(الله خالق كل شئ) [المزمور، آية 62]

(هـ والله المـخـالـقـ الـبـارـئـ الـمـصـوـرـ) [الـحـشـرـ، آـيـةـ 54ـ]

(ومن آياته خلق السماءات والأرض) [المرور، آية 22]

(خلق الإنسان من صلصال كالفخار) [الرحمن، آية 14]

(وخلق المجان من مارج من ذار) [الرحمن، آية 14]

(إنا كل شئ خلقناه بقدر) [المقمر، آية 49]

[ويخلق ما لَا تعلمون] (النحل، آية 8)

(بل هم فِي لِبْسٍ مِّن خَلْقٍ جَدِيدٍ) [آل عمران، آية 15]

الخُلُقُ الْإِلَهِيُّ وَآفَاقُهُ :

وترتبط صفة الخلق بالمشيئة الإلهية ارتباطاً وثيقاً. فالله تعالى لَا يخلق إلَّا مَا

يشاء . وأن خلقه للظواهر المكونية الكبرى لم يكن مرهقاً بالنسبة إليه سبحانه

على الإطلاق ، وهذا يبين لنا قدرته أيضاً على خلق الكائنات المصغيرة ، ومتناهية

المصغر ! والأهم من ذلك هو إعادة ما خلق ، ومنه إحياء الموتى . وعلى الذين

يرفضون أو يعترضون أن يلقوا نظرية سريعة على نظام الكون ، وكواكبها الدائرة

بكل دقة في آفلاكها : هل يوجد بها أى خلل أو تفاوت ؟ إن المشركين الذين

يستنكرون خلق أنفسهم لـا يعلمون أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلقهم لـو

كانوا يعقلون !

الآيات الدالة على ذلك :

(يخلق الله ما يشاء والله على كل شـاء قديـر) [المائدة، آية 17]

(وربك يخلق ما يشاء ويختار) [المقصص، آية 18]

(أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات والأرض ولم يعيي بخلقهن

بقدار على أن يحيي الموتى) [الأحقاف، آية 33]

(ما ترى في خلق المرحمن من تفاوت) [الملك، آية 3]

(خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس لكن أكثر الناس

لا يعلمون) [غافر، آية 57]

المتحدى بالخلق :

ولما كان الخلق أبرز صفات الله تعالى — كما ورد في القرآن الكريم — فقد جاء

المتحدى به كآية عظمى لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، فهو الذي خلق السماوات

والأرض وكل ما بينهما من جماد ونبات وحيوان ، وهو الذي أحسن خلقها ،

كما أنه هو الحافظ لها ، والذى يزيد في الخلق على نحو مستمر .

الآيات الم مؤكدة لذلك :

(٥٣) خلق الله فأر ونبي ماذا خلق الذين من دونه) (القمان، آية ١١)

(أفمن يخلق كمن لا يخلق) (النحل [17]

(والذين يدعون من دون الله لَا يخلقون شيئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ) (النحل، آية ٢)

(أَفَرَأَيْتَمَا تَمَنُّوْنَ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ) (الْأَوْقَعَةُ، آيَة ٥٩)

(أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) (الْمُطَوْرُ، آيَة ٣٥)

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) (ق، آيَة ٣٨)

(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعْبِينَ) (الْأَنْبِيَاءُ، آيَة ١٦)

(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْرَهُ تَقْدِيرًا) (الْمُفْرَقَانِ، آيَة ٢)

(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ عَلَيْهِ) (الْمَسْجَدَةُ، آيَة ٧)

(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ) (الْمُتَخَابُونَ، آيَة ٣)

(إِنَّ اللَّهَ يَمْسِكُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسِكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ

من بعده) (فَاطِر، آيَة ٤١)

(وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) (الْمُؤْمِنُونَ، آيَة ١٧)

(يُزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ) (فَاطِر، آيَة ١)

الخلق ومدته :

مما يلاحظ أن السماوات والأرض من أكبر ظواهر الكون التي خلقها الله تعالى.

ويذكر القرآن الكريم أن عدد السماوات سبع ، بينما يورد الأرض غالبا مفردة ،

إلا في موضع واحد ، حيث يذكر أنها مثل السماوات سبع . أما خلق كل منها فقد

استغرق يومين (وهذا بالطبع من أيام الله التي أشار القرآن الكريم إلى أنها قد

تصل إلى ألف سنة أو خمسين ألف سنة من سنوات الإنسان) . أما اليومان

المباقيان من المسته المذكورة في مدة الخلق ، فقد جعلهما الله تعالى لتقدير

المأقوات في الأرض ، وهذا مجاله واسع ، وأمثلته لا حصر لها .

الآيات المؤيدة لذلك :

(الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام) [السجدة، آية 4]

(فقضاهن سبع سماوات في يومين) [فصلت، آية 12]

(قل أئنكم تكفرون بالذي خلق الأرض في يومين) [فصلت، آية 9]

(وقدر فيها — في الأرض بعد خلقها في يومين — أقواتها في

أربعة أيام) [فصلت، آية 10]

(ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً) [النبا، آية 7]

الخلق الإلهي فعل قصدي :

إن الخلق الإلهي — كما يؤكد القرآن الكريم — فعل قصدي . لا مكن فيه للصدفة أو

او العشوائية — كما تذهب إلى ذلك بعض النظريات العلمية المعاصرة — بل إنه

مقدّر منذ الأزل . ويهذا التقدير مرتبط بمشيئة الله تعالى ، كما أنه سابق على

إيجاد الناس ، فلم يشهدوا خلق السماوات والأرض ، ولما خلق أنفسهم . وما

السماءات والأرض إلّا جزء من أجزاء الكون الشاسع ، لكنهما هما (المكان)

الذى تدور عليه حياة البشر وموتهم ، ثم إعادة إحيائهم وبعثهم إلى الحياة الآخرة

. ومما يؤكده القرآن الكريم أن خلق الجن والإنس إنما تم بقصد عبادة الله الذى

خلقهم ، وهو الذى يحييهم ويرزقهم ثم يميتهم بعد ذلك ليعثوهم بعد ذلك فى يوم

المجاز العادل .

الآيات الداعمة لذلك

(ما خلق الله السماءات والأرض وما بينهما إلّا بالحق وأجل مسمى) [الروم، آية ٨]

(الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون) [الروم الآية ١]

(ما أشهدهم خلق السماءات والأرض ولا خلق أنفسهم) [الكهف، آية ١]

(ربنا ما خلقت هذا باطلًا) [آل عمران ١٩]

(سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى) (الأعلى، آية ٢، ١)

(هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) (فاطر، آية ٣)

(وما خلقت الجن والإنس إلّا ليعبدون) (المذاريات، آية ٥١)

(ذلّكم الله ربكم لِمَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ خالق كُلِّ شَيْءٍ فَاعبُدوه) (المأنعام، آية ١٠٢)

(واسجّدوا لِللهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) (فصلت، آية ٣٧)

لماذا كتبت هذا البحث ؟

أولاً : لكي يتبيّن المسلم حقائق الخلق الإلهي المستمدّة بصورة مباشرة من

المقرآن المكريم، ومنها يدرك العقلااء أن وجودهم الحالى ليس عبثا ، وأن الأمر

واضح تمام الموضوع : فالله الذى خلقنا سوف يميتنا ثم يحيينا ويبعثنا فى يوم

معلوم ليحاسب كل منا بمفردہ على إيمانه أو كفره ، وعلى ما فعله في هذه الدنيا

من خير أو شر .

ثانياً : الرد على نظرية الانفجار العظيم ، التي أصبح علماء الكون المعاصرون

والمفيزيائيون والجيولوجيون والرياضيون .. الخ مقتنيين تماماً بها كتفسير كاف

لنشأة الكون . والنظرية (حسب العالم البلجيكي جورج لوميتير 1927) تقول : إن

المكون كان في بدء نشأته عبارة عن كتلة غازية عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة

ثم بتأثير الضغط المهاطل الناتج من شدة الحرارة حدث انفجار عظيم فتق المكتلة

المغازية وقدف بأجزائها في كل اتجاه ف تكونت مع مرور الوقت الكواكب والنجوم وال مجرات .

وهنا ملاحظات :

١— النظرية لا تتحدث أو حتى تشير إلى من أحدث هذا الانفجار العظيم ؟ يعني كأن

المأمور تم بدون مسبب .

٢— أن ما تكون من فوضى الانفجار : هذا النظام الكوني المستقر ، والمذى

يدور تبعا لخطة محكمة ، فكيف خرج النظام المحكم من المفوض ؟

٣— أن نشأة الكون مرتبطة بما هو موجود في السماءات والأرض من مخلوقات

متنوعة ، والتي لم تنجح نظرية داروين في تفسير بداياتها حتى الآن ؟

٤— أن النظرية رغم ادعائهما المصدقة العلمية قد أنهمت تماما المرجوع إلى ما ذكره

المقرر أن منذ أكثر من ألف وأربعين عام !

مصادر البحث :

المقرآن المكريم

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : للمرحوم محمد فؤاد عبد الباقي

مجموعة تفاسير

د.حامد طاهر : — كتاب قوانين القرآن

— نظرية خلق الإنسان في القرآن (فصل في كتابنا :

الفلسفة الإسلامية ، وهو منشور بموقعى على الإنترنت)